أبو بكر القاضي

إبراهيم عليه السلام وكلمات الابتلاء

د. أبو بكر القاضي

المجلس الرابع عشر: لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ

abobakrelkady AboBakr Elkady
www.abobakrelkady.net KonnashatElkady

قال الرب- تبارك وتعالى-:{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً ۖ إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ* فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ} [الأنعام:٧٤-٧٦]

هنا إبراهيم -عليه السلام- كما ذكرنا يناظر قومه ويقيم عليهم الحجة، أهذا الذي تقولون أنه رب؟ أهذا الذي تعبدونه من دون الله عزوجل؟

تعبدون الكواكب أو الاقمار أو الشموس أو النجوم، فإن هذه تغيب وتأفل، والرب الحق والإله الحق لا يأفل ولا يغيب، وهذا يعتبر من أجمل الاستدلالات، ومن أجمل العبارات عن التعبير عن علاقة العبد بربه -عزوجل-.

{قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ}: وهذا فيه أنه لم يقل أكره الآفلين، بل قال لا أحب فيه إشارة الى أن أصل العلاقة بين العبد وبين ربه هي الحب.

فإن نفي الحب مهيج على الحب حين أقول لك أنا لا أحب فيك كذا وكذا هذا دليل على أن الأصل بيني وبينك هو الحب، ولكني لا أحب هذه الصفة، فإذا تركتها فإنك تعود إلى الأصل الذي بيني وبينك وهو الحب.

فهو هنا يريد أن يصف العلاقة بينه وبين ربه التي يفترض أن تكون بينه وبين ربه الحق وليس الكوكب وليس القمر وليس الشمس

قال لا أحب الآفلين، بل أحب الحي القيوم الذي لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، الذي لا تأخذه سنة ولا نوم.

نعم هذا المشهد هومشهد القيومية لله -تبارك وتعالى- من أجّل مشاهد التوحيد، ومن أجّل المشاهد التي قام بها الإمام إبراهيم -عليه السلام-

- إن إبراهيم كان أمة أي إمامًا وزيادة إيمانه يزن إيمان أمة جامعًا للفضائل.

- إبراهيم -عليه السلام- كان معلمًا للخير، يعلمنا كيف نشهد هذا المشهد من مشاهد التوحيد (لا نحب الآفلين)
  - نحب ربنا -عزوجل- الذي يسمع ويبصر.
  - نحب ربنا تبارك وتعالى القريب المجيب أقرب إلينا من حبل الوريد وهو مستوٍ على عرشه كما يليق بجلاله وكماله.
  - نحب ربنا -تبارك وتعالى- {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} [المجادلة:١] قالت عائشة -رضي الله عنها- تبارك الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة وأنا في ناحية البيت لا أكاد أسمع صوتها، وأنزل الله عزوجل {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ}[المجادلة:١]

هذا القرب الذي هو قرب عام من الخليقة من الإحاطة والخبرة والعلم والسيطرة والقدرة، وهو فوق العرش كما يليق بجلاله وكماله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير هذا قرب عام، وهنالك قرب خاص يجده عباده (إن ربي رحيم ودود) ،(إن ربي قريب مجيب) يجده عباده معية عامة لجميع الخلق، ومعية خاصة لعباده المؤمنين المتقين:

- الذين يزدلفون إليه ركعًا وسجدًا.
- الذين يزدلفون إليه تفكرًا في آياته الكونية، وتدبرًا في آياته الشرعية.
- الذين يذكرونه قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم.
- الذين يسيرون إليه بقلوبهم قبل قوالبهم، وقبل أبدانهم.

لذا قال إبراهيم -عليه السلام-: {لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ}

هذا أيضا فيه إشارة إلى أن الذي يأفل لا ينبغي له أن يحب محبة الإلهية لا نتخذه إلها.

كيف إلهي يأفل؟! فالمخلوقين جميعًا يأفلون، يغيبون، يموتون، نعم يفارقون بإرادتهم أو بغير إرادتهم منهم من: يسافر، أو يتعب، أو يمرض، أو يموت، أو يدفن.

إذًا لا ترفع المخلوق إلى درجة الخالق.

لا تسمح للمخلوق أن يأخذ مساحة وجدانية أو مساحة حب أو مساحة مشاعر في قلبك كالخالق... لماذا؟ لأنه بكل بساطة يأفل.

الجهة التي ستعتمد فيها على المخلوقين ستخذل من جهتها.

هذه قاعدة من أحب غير الله عُذب به ولابد ،والحب هنا المقصود به هو المحبة التي تساوي محبة الله.

{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ....} [البقرة:١٦٥]

هنا أحب الدرهم، الدينار "تعِس عبدُ الدينارِ، تعِس عبدُ الدرهمِ، تعس عبدُ الخميصةِ، تعس عبدُ الخميلةِ" [البخاري] ولا يلزم أن يكون قميصة، وقطيفة، ودرهم ودينار، قد يكون ولد، أو زوج، أو أخ، أو صاحب... كيف ذلك؟ يطيعون في معصية الله، يطيعون في الكفر، يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل.

إياك أن تجعل أحدًا يأخذ هذه المساحة التي في قلبك، فينبغي أن تكون لله -عزوجل- هنالك تعذب، ولذلك العشق عذاب، التعلق المرضي بمخلوقين عذاب إنهم يأفلون، إنهم يغيبون، إنهم يخذلونك،

إنهم يصدمونك، إنهم يفارقونك، شئت أم أبيت سيفارقونك؛ لذلك كن مع الله الحبيب الأول تبارك وتعالى:

- الأول الذي ليس قبله شيء.
- الآخر الذي ليس بعده شيء.
- الظاهر الذي ليس فوقه شيء.
- الباطن الذي ليس دونه شيء.

قلها بأعلى صوتك بقلبك ولسانك كما قالها إبراهيم -عليه السلام-: (لا أحب الآفلين)